الدراسة النقدية

للمجموعة الشعرية(ضد الموت)

للشاعر/ عاطف الجندي

بقلم /إكرام عمارة.

مـا أصـعب الحـروف حـين تُصـاغ مـن صـقيع الاغتراب، واصفرار الورق العالق على أغصان الشحوب واندلاع الوهن بمشبوب الأرق،كتابُك ياسَفَر أَقْسَم والقَسَمُ يَتْلُوه الإصـرارُ؛ بـأنَّ رصـيدَ المسـافات المُشَـبَّعة بحَكَايـا تُمَسْـرحُهَا الأحـداثُ والتفاصـيلُ بصُـراخ الزوايـا القـاطن أرجاءَها اللونُ الباهت والرموز الثكلى بحدقات الوطن.

مابال الشراع اليوم يُبرم العقود،ويعقد النوايا والخُصلات للشال المُحَلَّى بقداسة العيد لا تتوانى شعائرُها؛ تَتَنَسَّكُها الأيامُ الصَبايا، وأكاليل الصبر؛تُلقِي السلامَ على مراسم الذكرى والغَرْس الوليد يستجير بالمُنى وأباريق الأمل.

تجليات تتوسد رحلة الأمنيات بين الذات وأزيز الوجع، تراتيل يتوهجها الاشتقاق ويغلفها الحزن المشبوب بالتأجج؛

تشق عباب الروح، تسمو على جفن الوجع ببهو المدى، تنفض غبار الفتن وتصارع الضد.

لقد دأب الشاعر في شعره على إبراز الاتجاه الذي يبين فنه التصويري ووجدانه الشخصي في سيميترية خلابة تمنح خطابه الشعري أبعادا دلالية تتسم بالعمق الرؤيوي؛ يحتاج غواصا حاذقا يجيد الغوص بالأعماق، تكتنفه مهارة فائقة على فك الرموز والشفرات، وفض سر التشابك والأضداد، وعبور مخاض التداخل والمجازات، والوقوف على تلك الدرر المنوط بها الدقة في اختيار الألفاظ وما تحمل من معاني تبرز المدلولات التي تترجمها سيميائية تعطي أبعادا بؤرية مابين فكرة النص والرموز التي هي بمثابة شفرة؛تحقق للشاعر انزياحاته، وتضمن للنص عمق العبور بمجازات وارفة الظلال مونقة أزاهير الدلالة؛ فإذا بالعنوان يحملنا على أجنحة حرف يأتلق بمفرداته ومعانيه يتوق للعتق، حروف ذات أبنية وتقنيات حديثة؛ توقظ الذات على عتبات تجنب الخوف من المجهول وإذكاء للوجد المصاحب له في محراب تراتيل الحبو ثنايا الأشواق، وأرى أن البدء بالظرف (ضد) في المجموعة

الشعرية المعنونة ب(ضد الموت) يدفعنا الشاعر للوقوف على تقريرية إيحالية تحمل اللفظ وتريد لازم فحواه؛ يدون تآويلا للمُضْمَر بوصيد الظرفية المُجْمَل بخصوص المعنى ليظل المنحى الأكيد- حين يعتري ذواتنا ثقل تضيق معه الأزمنة والأمكنة- خلود من يحمله مداده للبحث عن خلاص،ونزوع الكلمة للانعتاق وتحقيق الذات، لها من القدرة ذات الدلالة على التماهي مع الذات والمحيط؛حيث تطالعنا أولى قصائده بالديوان الماثل بين أيدينا (ضد الموت).

بسيطا أكون الذي قد أكنه

واختار شعرًا وشمسًا وتوت

كان الذي شف وجدي اخضرار

وأنبت وردًا بنبضي الخفوت..

بعثرة لبردية يعي المداد سطور توهجها، وانتفاضة تُعَلِّم الفضول فَصْلَ الخطاب؛ ذوبان للثلج المُحَدِّق بالجدار تتدلق قطراته على زجاج نافذتي، والطير يشدو مزامير التشاغل شدو إرجاء؛ يلملم المارق من موسيقى اللحن

وقوس قزح يلهب التقويم القابع فصول ذاكرتي لانتزاع لمزاج خلجاتي ولا جدال بقام العشق، هكذا ينطق لسان حال الشاعر مستخدما المفردة البسيطة في استهلالية بديعة جديلتها اسم وفعل وحرف (بسيطا- قد- أكنه) وتراكيب إخبارية تحمل بين طياتها صورا شاعرية شعورية (كان الذي شف وجدي اخضرار- وحزن يعيش بساحات قلبي . وأضحك دوما لكي لا أموت..صفصافة قلبي وقلبك سنبلة)

ومن الموت ميلاد غير أسيف مخاضه، وأواوين التجني يُسَفِّدُهَا الإيغال ببيادر الدلالات المُشَهَّبَة إرسَالياتُها، المُسَعَّرة تفاصيلُها تحمل المغدور ذراريه تذروه الرياح المُؤتَمنَة؛ يَرمقُها النبضُ السابح أمشاج الحقيقة؛ يُرَوِّي بين البَيْنَين بآتون التمحيص وصلوات للذاكرة تشحذ المُفَرقَد من لألئ الثمرات بوازع من يقين، ومُسَلَّمَات لا يأتيها الذبول من أدناها إلى أقصاها؛ تهجع معها لواعج المُهَج وفسيلات عن الدرب لا تحيد، تدرك ماللبذرة من أياد بالقرار المكين تحرثها السطور نفلا وقريضا؛ تتدلى عناقيد كرزه حُبْلَى بالتَمَاهِي والحلول.

أطروحة مسجاة بحرف أَبِّي وجُمْلة مُتَفرِدَة تزدهي لغتها بخِلْعَة مُرَصَّعَة بكريستال التصاوير وزبرجد المعاني.

تحليق في فضاءات تتتابعها أحرف تسجل أصداء للجلال برموز لها شغف الحضور(لا تترك الحلاج في أفكاره لمصيره). قل لابن رشد.. وقل لعنترة..)

رحلة الحروف لم تكن أبدا هدرا؛ يتدفق خلالها شلال المعاني دون مغزى، يتموضع تحت لواء السوسيولوجيا لإدراك المعنى الشعري في رحلة تحليقية تجاوزية عبر الزمان والمكان؛ يستحضر فيها تلك الرموز بمثابة ثورة على الألم ومحدثاته، إلحاح بالطلب المُتْخَم بمثلث الأبعاد الآنية(الإنساني، الوجداني، الاجتماعي)المُتْخَن بالتجربة ونبذ الاستسلام، جعل الذات الشاعرة تتخذها مثالا يحتذى، يأتلق لها الثائرون في دراماتيكية عارمة تفتح المغاليق الموصدة وعبور لسطوع شمس جديدة؛ تخلص الروح من ربقة القلق ووطأة الاغتراب(فخذ حصانك وانطلق..فاعترش ..)

يرصف المعنى، يمسك بتلابيب أسرار الصورة الشعرية راسما حدودها الواسعة بحنكة واقتدار؛ يجيد العزف باحترافية للكلمات ودلالتها في مشهدية تعبيرية تتدفق بالشعور الوجدي تتشال لحظة الرؤيا؛ فتتناثر النبضات وتزيد الدقات في تَعَانُق صُوفي وهُطول نِزْفاني وانصهار كلي في الذات الأخرى.

في انسيابية فائقة الرشاقة يجيد الشاعر التنقل فاتحا شُرفات نَصْه على مصراعيه آخذا بالاعتبار ما للمتلقي من حقوق واختلاف بدرجات التذوق والأثر المترتب للمتعة والذائقة الأدبية؛ يلفتنا لقصيدته (ويليق بي) وكأن القصيدة يصعب تشكيل ذاتها بدونه؛ يحشد ذاته الشاعرة بكل انزياحاتها الدلالية،ينقش بيدرها بلغته وبيانه ومعزوفة ذات جرس هرموني وتناغم حرفي يضبطها الإيقاع والوزن(ويليق بي صبح الأميرة والندى.. والطير يشرع للغناء..والبسمة النعناع..وتزيد أوردة السماح..)

يشتهينا حين العروج لحن الغواية، وباب السراب يهابه الليل الحكيم الواعد سكونه تَجَنُّب الرَدَى بين فَكَّي عذاب الريب وجحيم اليقين؛ يحملك حدسك الإيماني حَمْلَ إذعان

تجري بك مقادير ثباتك الذي لا يأتيه الباطل من بين فرائضه ولا من سننه، يبتهل لها الشريان مُبَرَّح الوجد مُذْ كنت يوما تزرع فسائل نبتها ديمومة وعطرها يمكث في الوريد يدق ناقوس الخلود يغزو رنينه الأخاذ قلوب مُمَهَدة أرجاؤها مُسَهَدة دقاتُها لها صورتها الأولى مُمَرَّدَة تفاصيلُها تحفظها الشجرة الأولى بذور بذرتها بين الحاء والباء(ويليق بي أضع اشتهاءك في يدي..أقبل الحسن الذي قد لاحا..ويليق أن أبكي بحرقة عاشق..إن غاب ضوؤك والحنين أباحا)

يالصدر حرفك المتسع لسباحة العمق فيه' يالجناح العصفور المكسور وريح الشتاء تسرع الخطى وربيع حزين لبكاء مقهور، يالنداء القادم من سفر البعيد وأسفار اللهاث يرنمه الوليد، يالحفيف الشجر والسحر له بمعين لاينضب قُرْبُه ولا يشرد مداه العنيد، ما أروع المخاض للقصيد إن كان وليده قاهر للجليد.

تراكيب لغوية من شأنها دعوة لاستجلاء حقيقة هذا التنسيق الرمزي وفق إسقاطاته التي أكسيت النص حدة في الانتقاء اللفظي وزادت المعنى بريقا؛ يبحث خلاله عن

ليلاه في زمن تطاول فيها ظل الهاجس، زمن تضاءلت فيه قيمة الأشياء، زمن عانت فيه العواطف اضمحلالا، زمن تكبدت فيه الذات عناء صون المواثيق.

توظيف للاستعارة بمختلف أنواعها وتجسيد يذكي حرارة المشهد، ومن ثم تحمل صوره جل طاقته الحارقة؛ مسبغة بتشوقه اللائذ.

حرف يجيد العزف والحركة الإيقاعية؛ يحمل في طياته حسن اليقين والوثوب بالنتائج للجهد المبذول المنحصر في الفكر والخيال والوجدان إلى خلق فني ينضح دقة في الأداء وروعة في التصوير.

وأنا أحتسي نخب السطور المثقلة بأنداء الروح واللغة المدهشة أدركت أني يكمن البقاء وتسطع شمس الخلود بمسالك التُيَّم ورافعي ألوية الكمون بمحاريب الإخلاص تمنح الابتسام صك الدفء؛فتبوح الخلجات عمقا والنبض ينطق حكمة تحمله أجنحة اليقين آية ترتيل بمُصَلَّى النور في ملكوت الإشراق كسبائك للذهب البكر تحمل صورة قلب لاكته الزفرات وأرعدت سماء عشقه الدقات يتلاشى

فيها الظل وتنتعش لها الحواف للغيمات حيث تطالعنا قصيدته(ترنيمة)

أقر بأنني تعب

وأحيا الحب في مأزق

لأني شاعر يهوى

طموح العطر في الزنبق

وأنت الطير يلهمني

نشيد السحر والمنطق..

هنا يستهل ترنيمته بتقريرية مؤكدة (أقر- أحيا . أنشد . أنطق . أهوى) تأخذ بتلابيبنا إلى بحار بيانه وجزر مجازيه؛تغرينا مهاراته اللازوردية في تطويع أفكاره والاستقرار بها على شط الواقع،تعمده الذاكرة الزمنية.

وإذا ما عدنا إلى الإشارات في نصه لاستنطاق اعترافاته واستشفاف مغزى حروفه المتعبات لنضع أيدينا على

ملمحين هما بمثابة جناحين حلقا بالنص،واعتلى فيهما المعنى صهوة الحال.

أولهما:البعد النفسي: حيث نراه يألف المصارحة؛ يجيد القفز بالمأزوم وتذليل العوائق والعبور للتفاصيل المتشعبة،أيضا لديه القدرة على إحداث التغييرات المنشودة ومن ثم لا يألو جهدا في إماطة الوجع ورؤية الحياة بعيون ترتدي نظارة الأمل،حروف يقطنها قلبي لم يزل بالضوء في بهو الرحابة، دربها الإصرار، و دأبها إنكسار اليأس، شعارها هدهدة الآمال ذات الأشرعة البيضاء المطهمة بفسيفساء العشق(لأني شاعر يهوى..طموح العطر في الزنبق)جاء الرمز متقنا بمفردته (الزنبق)؛يلقي بظلال الرواء على الفكرة مما يكسبها ديمومة في الانتشار ونصاع بالأزهار، في قوة وحيوية يبرز معها صدق الإحساس؛تحتشد من خلالها الذات الشاعرة،ناهينا عن إجادة التوظيف للنسق الرمزي بمختلف معطياته على المستوى الاستعاري والموضوعي؛ نجده في عز قتام نفسه،يشق الشعاع للنور رغم الخفوت للوضعية؛بحثا عن

آليـة يزدهـي معهـا الأمـل ويكبـل حيالهـا جمـوح الغضـب وتُكْسَر أسِرَّة الحيرة .

ثانيهما: البعد الفني:حيث نراه أجاد التناول في شعره، من تطوير يتلاشى معه كل ما دون العبور لمجازات تبحث عن ربيع بلون الحب تغيب معه شهقات الفراق، ويضيع حيالها عنوان الموت.

قصيدة تعد من روائعه في خلقها الفني، في أسلوبها الشهي، طريقة جديدة في الطرح جعلته ينثر بوحه(على خد الندى المشرق..فتصحو شمس آمالي..)

ما أبهى أن نحيا؛يشتهينا الشهيق للحرف بغية الوصول للشط الأثيري،لا يفت في عضد لوعتنا كدر فقد أو وسوسة لموج أوعزت له الريح والغيوم الملبدة.

ترنيمة باهية الفكرة، ذات بناء قوي، ونغمات دفوءة، متأنقة بالشكل تدمغها (ابتهالات عاشق) (أحب الهوى ماشف وجدي اخضرار..وأهفو في وجه جميل يغني..أغيب عن الدنيا وأرقى صعيدا..كنجم من النبض الذي ضاع مني..أعيش على أمل اللقاء انتصارا..)

ينفح الحرف بباهظ وجده، ويعقد العزم برائق عطره؛تراكيب متباينة وصور تكاد تنطق،تنقل واقعا بلون الفقد، حروف شفها الحزن وأقض مضجعها الاغتراب لا تستهويها حياة البرزخ؛تعيش بمعية الذاكرة تهيم في أزقة النبض والجوارح جلها بحالة إفضاء، تخاطب الشارد والوارد ذاك طبع الصب؛يرمقه البكاء(وأبكي يدفع الصمت مهرا..وشالا رمى كتف الغرام بعضه) لغة تهيم على جمر المُسَهَّد من الحروف تضرب رائقها رياح الشتات تحمل تيماتها ما يلهب الشغف ويثري الدلالات وزمكانية آبهة بعبور للمُكَنَّى وتراكيب تعكس التباين والاتساق في الذوات الدالة بمقدرة شاعر فذ تمكن من خلال توظيف الحدث أن ينطلق من الخاص إلى العام ومن العام إلى الخاص؛نلمس ذلك جليا برائعته(ضد الموت).

عندما نسبح في فضاءات تراتيلك يطيب لنا المقام بين ثنايا حرف انصهرت لغته في واقع بالكاد معاش(أنا لا أريد الآن موتا تافها ..عشقا أموت بتيمة الشعراء..فأنا نبي الشعر عندي دعوة..مازال مسك عبيرها بردائي..أنا كبرياء قصيدة في بوحها..وجميع من قرض البيان ورائي)

هذه القصيدة (ضد الموت) تحمل ذات العنوان للديوان؛ يتسنى لي أن أقف عند العنوان،فإذا به يحملنا على أجنحة البوح لنرشف العبق رحيقا فاض من دون وعاء،جمعه مخبوء الروح؛حرف ينطلق من خلجان القلب،يتوسد مكثا عنوان بمثابة لوحة تنساب ألوانها شذا قنينة التأمل؛يتراقص فيها الحرف ذات الوهج بين أناملك ،كأنه يغزو دواخلنا ومشتملات تفاصيل التفاصيل،من أصغر نقطة في الذاكرة إلى أكبر معنى في القلب،خربشات بصكوك أزلية تناولتها بأحرفك المذهلة التي أغمرت بها العنوان

وأنا على شرفات بعض عباراتك بذات القصيدة؛أقف على بوح صادق ينزف بفيض من المشاعر العميقة؛عمقا يجعلها أقرب للوجدان ولاسيما أنها بالموزون من الشعر "الملفوظ اللغوي"الذي يظل له من الرصانة والأصالة المنزلة الأقرب والباحة الأرحب.

يرفرف الحرف ويصبح له مذاق ولون آخر تبقى عبره الحروف أسيرة نبض الزنابق وعبق الأقحوان.

اتخذ من الشعر بساطا يحمل تيمات أمل تتجدد بها روح الطفولة وأيقونة وجع تجوب دهاليز اللاوعي يظلها غلاف السرد الحكائي؛فتخرج إلى الوعي دفقات آنية لا علاقة لها بـــالحزازير ولا الأحاجي(فـــدعي الحيـــاة أيـــا كورونـــا.. واخسئي.. حتى أسطر للخلود بقائي..)حروف تشعل حب الحيـاة السـرمدية لا الآنيـة الزائلـة؛تزج بمفهـوم ذات مغـزى للمـوت المزجـى بالحيـاة،حروف ذات أبنيـة وتقنيـات حديثـة تمـرن علـى ضـربات الحـزن ونـار أوجاعـه،ما أنقـى حسـه ووجدانـه عنـدما يتلاعـب بالمعـاني ويـوقظ الـذات علـى عتبـات الخـوف مـن المجهـول والوجـد المصـاحب لـه فـي محراب ثنايا الأشواق وتراتيل الحب عندما تفسدها رائحة الموت؛لغة للشاعر تحسب له لا عليه،لغة من أجيج لظى الجلنار.

نص بديع فيه عزف وغناء،فيه أحرف ترقص على جيد الحزن،تباغتنا ،تلهب قرائحنا(سأقاوم التتر الجديد لينتهي فيـروس حـزن عـاث كالأعـداء..)حرف اقـتحم السـدود يدوي،يتغلغل في مسامات الروح له؛ طلاوة تمس الحس بعذب المعاني،وعند التحليق في فضاءات أغنيته نجد

أحــرف تــدون صــليل المتعــة برمــوز لهــا شــغف الحضور،حروف آثرت التسبيح بالمعاني(من حق مثلي أن يعيش مخيرا..فالموت والميلاد كالإهداء) لها من الفنية مالها ؛حرف يأتلق بمفرداته ومعانيه يتوق للعتق؛يدون تآويلا لذواتنا حينما نسقط وجعا في الأزمنة الخبيثة.

القلب تضرج بلهيب الالتياع؛يتنفس ويلات الحزن والاغتراب يرسم شظاياه حرف من جمر تجاسر؛يشق عباب الغياب طموحا بلا يأس رغم كثرة الأضداد،ناهينا عن الفونيمات وما تحدثه من نغم موسيقي.

هنا تتسربل لغتك بفلسفة رؤاك التي تأخذنا إلى أفلاك الكون ؛لندرة في دورة التكوين.

لوحة يشكلها حس يعبر بنا أطياف الغرابة،لغة تتلاعب بالوصف نحو التوق والتماهي مع الذوات والحيز والمحيط،قادرة على بذل المعاني بدلالات تؤثر التوغل في الأعماق، لغة لها فضاءاتها وعوالمها الفاتنة.

وعند التطواف في جنائن أحرفك البراقة؛تبادرنا العديد من القصائد المتقنة بالوجد المصطلي(في حقيبتي ألم . رجوع .

طالب الشهادة وغيرهم من نصوص ذات الديوان) بأحرف منضدة تكتظ بسحر المعاني؛تناجي الوفاء من خلال المنسكب من هدير مشاعره،يسدد لهفته نحو الانتماء المخضب بالإلحاح؛يهجل وجيبه بين الألم والأمل.

يالها من تجليات لها نوازعها؛تتوسد رحلة الأمنيات بين الذات وأزيز الاغتراب،يالك من شاعر يسري الشعر في نبضه؛ يتخذ من الحرف مركبا يغزو به القلوب.

حرف يمتلك نظرة ثاقبة تشف روعة؛يفوح عطره لامسًا عمق المعاني،حرف مورق بالأناقة.

دمت فارسًا للقصيد،غيثا للترانيم والتراتيل،نبراسًا للحس المفعم بالجمال،مغدقًا بتلافيف ذلك الوهج.

ديوانك ذات حرف شفيف ينم عن مشاعر فياضة،تتدفق ألقا،قلم يسطر الإبداع وينثر العبق؛فيض من الجمال سكبته تلك الزفرات الألماسية،

ديوان مرصع بالهمس الأصيل والأسيل؛يتبتل فيه الحنين ويترنح على عتبات الأمل؛يرفرف فيه عشقك، كطيف نحلق معه في رحلة الجمال؛تطوف مدائن الكلمات بقلوب

شفها الوجد وعطرتها ذاكرتك المكتظة؛ معتمدًا في تراتيلك على أن الذات الشاعرة تجدد عبقها من الأعماق غير آبهة بمناحي الانكسار ملاذها الأمل والحلم وجنة الاستقرار.

بقلم/ إكرام عمارة.